مؤلف: **مجموعة مؤلفي بيان الإسلام**
مصدر: **موسوعة بيان الإسلام**
لتاريخ: **26/08/2020**

نص السؤال

دعوى اختلاف القرآن المكي عن المدني

الجواب التفصيلي

دعوى اختلاف القرآن المكي عن المدني (*)

ون الشبهة:

رآن يدل على تأثره بالبيئة في مكة؛ إذ إن القوم فيها كانوا أميين لا تعدو مداركهم حدود الحسيات، أما بعد الهجرة واتصال محمد - صلى الله عليه وسلم - بأهل المدينة، وتأثره بهذا الوسط الراقي، فقد اختلف أسا

إبطال الشبهة:

1) دعوى أن البيئة المكية ساذجة جاهلة لا ترقى إلى ما وراء الحس، دعوى لا يقوم عليها دليل؛ حيث يكذبها الواقع، والتاريخ الصحيح، فقد كان أهل مكة أذكى عقولا من غيرهم، وفيما قصه القرآن عنهم من مجا

2) ليس المراد من ضرب هذه الأمثلة الحسية ذكر النعم فقط، وإنما غايات أخرى بعيدة.

3) إن ما ادعوه من لين الأسلوب المدني وقسوة المكي في القرآن لا يستند إلى دليل، فمعلوم أن الشدة واللين موجودان في مكي القرآن ومدنيه على حد سواء؛ بل إن وجود تشريع القتال في القسم المدني

ل:

اطبة أهل مكة بالحسيات تثبت لهم التفوق والذكاء:

لمكي نود أن نعرضها - قبل - على أعداء الإسلام، حتى يكون الرد وافيا شافيا؛ فالبلاغة مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وهذا ما نزل به القرآن الكريم، فقد راعى أحوال المخاطبين، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

لذباب

سبحانه وتعالى:

(إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له)

(الحج:٧٣).

ولما عاندوا واحتجوا بما كان عليه آباؤهم، نعى عليهم أن يمتهنوا كرامة الإنسان أمام هذه الحجارة الصماء، وسفه عقولهم، و عقولهم آبائهم، وذم جمودهم وتقليدهم الأعمى للآباء والأجداد

(أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (170))

(البقرة).

نواهد الحق، وعلى ما في الكون من أعلام الرشد، ونوع لهم الأدلة وتفنن في الأساليب، وقادهم إلى الأوليات والمشاهدات، بحيث يقودهم من وراء ذلك إلى الاعتراف بتوحيد الله في ألوهيته وربوبيته، والإيمان بال

وسفك الدماء، ووأد البنات واستباحة الأعراض، وأكل مال اليتيم، فلفت أنظارهم إلى ما في ذلك من أخطار، وما زال بهم حتى طهرهم منها.

، وحبب إليهم الإيمان والطاعة، والنظام، والعلم، والمحبة، والرحمة، والإخلاص، واحترام الغير، وبر الوالدين، وإكرام الجار، وطهارة القلوب، وحفظ الألسنة.. وما إلى ذلك.

ليهم من أنباء الرسل وأممهم السابقة ما فيه أبلغ المواعظ، وعرفهم أن انتصار الإيمان على الكفر سنة الله في خلقه مهما طالت الأيام وامتد الزمان.

- **أنه سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه، حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات، قليلا عدد الآيات فيها؛ لأنهم كانوا أهل الفصاحة وصناعتهم الكلام، فيناسبهم الإيجاز دون الإسهاب([1]).**

حس، دعوى لا يقوم عليها دليل؛ حيث يكذبها الواقع، والتاريخ الصحيح؛ فقد كان أهل مكة أوفى ذوقا، وأرهف شعورا، وأذكى عقولا، وفيما قصه القرآن عنهم من مجادلات وخصومات، وما اشتمل عليه القسم المكي

ولكي تكون على بينة من ذلك - أيها القارئ - نذكر لك قصة؛ ذلك أنه لما نزل

لى:

(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)

(الأنبياء: 98)([2]).

دته،

نزل الله تعالى:

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (101))

(الأنبياء).

وتأمل كلمة "خصمون" في

لى:

(بل هم قوم خصمون (58))

(الزخرف).

ت؟!

ه - سبحانه وتعالى - في القرآن المكي بالمعقولات أيضا، إلى جانب المحسوسات، فمن ذلك

لى:

(يس (1) والقرآن الحكيم (2))

(يس)

، وأقسم بالملائكة في قوله:

(والنازعات غرقا (1) والناشطات نشطا (2))

(النازعات)،

م بالنفس الناطقة:

(ونفس وما سواها (7) فألهمها فجورها وتقواها (8))

(الشمس)،

قسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم:

(لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (72))

(الحجر)،

يضا:

(فوربك لنسألنهم أجمعين (92))

(الحجر)،

قال أيضا:

(فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون (40))

(المعارج)

لا يقع تحت الحس والمشاهدة، فقال:

(فلا أقسم بما تبصرون (38) وما لا تبصرون (39))

(الحاقة)،

سم بالزمن:

(والعصر (1)) (العصر)

([3]).

مكة ما كانت في الأشياء المحسوسة فقط، بل أثار عقولهم بالأشياء المعنوية التي تعتمد على العقل، وسوف نوضح أن القسم بالحسيات أيضا كان لأغراض بلاغية، ومعان بعيدة غاية في الكمال والإحكام، وليس م الحكمة الإلهي بأن يسلك معهم سبيل التدرج في التربية، فقدم العقائد والأخلاق والعادات على ضروب العبادات والمعاملات الدقيقة، ولا شك أنه قدم الأهم ثم تلاها بالمهم. أبعد هذا يزال هناك شك في نضج العقل

اية من ذكر الأمثلة الحسية:

إن القسم بالأمور الحسية في القرآن كالضحى والليل، ليس منشؤه انحطاط القوم كما يزعمون، إنما منشؤه رعاية مقتضى الحال فيما سبق القسم لأجله، وذلك أن القرآن كان بصدد علاج أفحش العقائد فيهم،

(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (17))

(النحل).

را تنأى بها عن السذاجة، وتشهد ببراعة المخاطبين بها وتفوقهم في الفهم والذكاء والفصاحة والبيان؛ ذلك أن القسم بها إشارة إلى الأسرار العظيمة التي وضعها الله في تلك الأمور التي أقسم بها، حتى صح أن

أقسم الله - عز وجل - بالضحى والليل في قوله:

(والضحى (1) والليل إذا سجى (2) ما ودعك ربك وما قلى (3) وللآخرة خير لك من الأولى (4) ولسوف يعطيك ربك فترضى (5))

(الضحى)،

وسبب نزول هذه الآيات أن النبي - صلى الله عليه وسلم - انقطع عنه الوحي مرة لا ينزل بقرآن، فرماه أعداؤه بأن ربه قد قلاه، أي تركه وأبغضه، فنزلت هذه الآيات موضحة أن سطوع الوحي على قلب النبي -

ذكر.

ا أقسم الله - سبحانه وتعالى - بالتين والزيتون:

(والتين والزيتون (1) وطور سينين (2))

(التين)

ا نصه: "وقد يرجح أنهما - أي التين والزيتون - النوعان من الشجر، ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا، بل لما يذكران به من الحوادث العظيمة التي لها الآثار الباقية في أحوال البشر، فالله تعالى يذكرنا بأربعة فصول م

ليه"([4]).

قرآن المكي والمدني كليهما على الشدة واللين، لا السب والشتم:

صنف، والثابت أن القرآن بقسميه - المكي والمدني - اشتمل على ذلك أحيانا لضرورة رشيدة هي: تربية الأفراد والشعوب وإصلاحهم، والسياسة تقتضي الوعد والوعيد، والشدة واللين، والترغيب والترهيب.

نية:

(فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (24))

(البقرة)

، وقوله أيضا:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين (278) فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)

(البقرة).

يضا:

(إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار (10) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب (11) قل للذين كفروا ستـ
مران).

كية:

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (33) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (34))

(فصلت).

ي قوله سبحانه في سورة الشورى المكية:

(فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (36))

(الشورى).

كية:

(ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (87) لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (88))

(الحجر)،

كية:

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (53))

(الزمر).

كية ظاهرة باهرة تسكت كل معاند، وهي أن القسم المكي خلا من تشريع القتال والجهاد والمخاشنة، كما خلت أيامه في مكة من مقاتلة القوم بمثل ما يأتون من التنكيل، فقد أمروا بالصبر والعفو والمجاملة برغم

القرآن الكريم من السب والشتم:

ن قصدوا به البذاءة والفحش، فهم متخرصون مبطلون، فما يليق هذا بكلام أديب محتشم، فضلا عن أن يليق بكلام المولى - عز وجل - يقول الشيخ الزرقاني في الرد على هذه الفرية: "وأما زعمهم أن في القسم ا
لى:

(ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا (5))

(الكهف).

ونحن بدورنا نتحداهم أن يأتوا بمثال واحد في القرآن كله (المكي والمدني) يكون من هذا اللون القذر الرخيص، وهل يعقل أن القرآن الذي جاء ليعلم الناس أصول الآداب، يخرج هو عن أصول الآداب إلى السباب
ل في سورة الأنعام:

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (108))

(الأنعام).

سمون آذانهم، ويغمضون أعينهم عن الحق، ويهملون الحجج والبراهين، وهو في ذلك شديد عنيف، بيد أنه في شدته وعنفه لم يخرج عن جادة الأدب، ولم يعدل عن سنن الحق، ولم يصدف عن سبيل الحكمة، بل الحك

فقسا ليزدجروا ومن بك رازما

فليقس أحيانا على من يرحم

ر المدنية، كما تجده في السور المكية، وإن كان في المكي أكثر من المدني؛ لأن أهل مكة كانوا أشداء العارضة، صعاب المراس، مسرفين في العناد والإباء، لم يتركوا بابا من الشر إلا دخلوه على الرسول - صلى الا
لى -

ورة البقرة المدنية في شأن المشركين:

(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (6) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (7))

(البقرة)،

في سورة البقرة أيضا في شأن المنافقين:

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (8))

(البقرة)،

ذبة.

هم،

قوله سبحانه وتعالى:

(ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (12

(آل عمران)،

وله:

(بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين (90))

(البقرة).

ران:

(إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (55) فأما الذين كفروا ف
مران)،

له فيهم أيضا في هذه السورة:

(إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (90))

(آل عمران).

أما السور والآيات التي اعتمدت عليها الشبهة، فلا تدل على ذلك السباب الذي زعموه ووصموا به القرآن الكريم؛

ورة:

(تبت يدا أبي لهب وتب (1))

(المسد)

غاية ما اشتملت عليه أنها إنذار ووعيد لأبي لهب وامرأته جزاء ما أساءا إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحبه، كما يدل على ذلك سبب نزولها؛

لت:

(وأنذر عشيرتك الأقربين (214)) (الشعراء)، «صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصفا فجعل ينادي: "يا بني فهر، يا بني عدي.. ". لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل

([5]).

وقد أخبرنا ابن عباس - رضي الله عنهما -

أن امرأة أبي لهب كانت تأتي بأغصان الشوك تطرحها بالليل في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم

([6])

ب مجتمعة تفيد أن السورة نزلت لمقابلة أبي لهب بما يستحق من إنذاره بالهلاك والقطيعة، وأن حاله لا ينفعه ولا كسبه، وأنه خاسر هو وامرأته، وأن مصيرهما إلى النار وبئس القرار، ولا ريب أن في هذا الوعيد ا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى

وأما سورة العصر فكل ما عرضت له أنها جعلت الناس قسمين: قسما غريقا في الخسران، وقسما نجا من هذا الخسران، وهم الذين جمعوا عناصر السعادة الأربعة، اقرأ

ه سبحانه وتعالى:

(والعصر (1) إن الإنسان لفي خسر (2) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (3))

(العصر).

ون.

وأما سورة

(ألهاكم التكاثر (1))

(التكاثر)

اطبين شغلتهم الدنيا عن الدين، وألهتهم الأموال عن رب الأموال حتى انتهت أعمارهم، وهم على هذه الحال، وغدا يسألون عن هذا النعيم، ويعاقبون على إهمال شكره بعذاب الجحيم.

ا قوله سبحانه وتعالى:

(فصب عليهم ربك سوط عذاب (13))

(الفجر)

جيل

(أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر (43))

(القمر)([7]).

ة:

، مشهود لهم - على مر التاريخ - بالتفوق والذكاء والفصاحة والبيان، فكان تحدي ربهم - عز وجل - لهم في غاية الإحكام؛ من أجل إعمال العقول والوصول إلى نتيجة مؤداها أنه لا خالق غير الله سبحانه وتعالى.

مثلة الحسية التي ذكرها القرآن - خاصة المكي منه - تحمل العديد من المعاني والغايات البعيدة، بهدف العبرة والعظة وليس المراد منها ذكر هذه النعم وفوائدها فقط.

يلين، تبعا لما يقتضيه حالهم - في مكة أو المدينة - بدليل أننا نجد بين آيات السور المكية والمدنية ما هو وعد ووعيد، وتسامح وتشديد، وجذب وشد، وإذا لوحظ أن أهل مكة كثر خطابهم بالشدة والعنف، فذلك لما ه

م وعلى أمثالهم بالقول، بعيدا عن كل معاني السباب والإفذاع، متذرعا بالحكمة والأدب الكامل في الإرشاد والإقناع، حائا على الصبر والعفو والإحسان.

يعها تشتمل على الشدة والعنف، بل إن الإذن بالقتال كان في القسم المدني، فلم يتفرد القسم المكي فقط بالشدة - كما زعموا - ولم يتأثر محمد - صلى الله عليه وسلم - بالبيئة، بل كان الوحي ينزل بما يناسب

المراجع

قرة، ط2، 1423 / 2003م. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مكتبة المطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1417 / 1996م، ج1، ص171، 172 بتصرف.

كل ما ألقيته في النار من حطب وغيره.

ة، ط2، 1423 / 2003، 245،244 بتصرف.

4. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1417 / 1996م، ج1، ص185: 188 بتصرف.

رَّاء (4492)، وفي موضع آخر، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين (214)) (529) بلفظ: خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى صعد الصفا فهتف: "يا صباحاه".

يحه (488).

ة، ط1، 1417 / 1996م، ص174، 178 بتصرف.